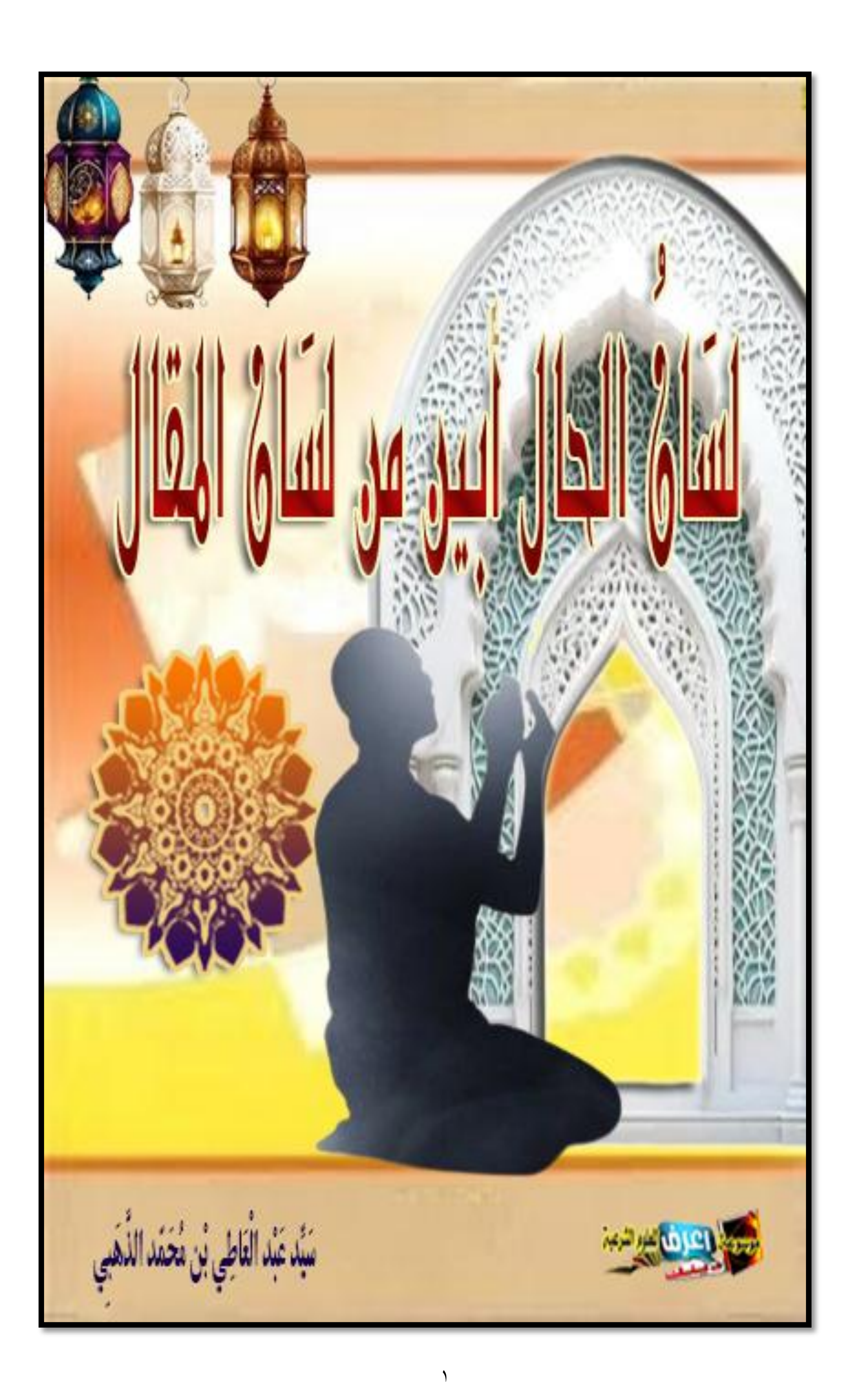

لسان الحال أبين من لسان المقال
سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي



الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّبْعِ الطِّبَاقِ، مُقَسِّمِ الْآدَابِ وَالْأَرْزَاقِ، الْهَادِي لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، مَالِكِ يَوْمِ التَّلَاقِ، نَحْمَدُهُ عَلَى آلَاءٍ تَمْلأُ الْآفَاقِ، وَنِعَمٍ تُطَوِّقُ الْقُلُوبَ وَالْأَعْنَاقَ، الْحَمْدُ للهِ الَّذِي بَعَثَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا لِيُتَمِّمَ لَنَا مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَيَهْدِينَا لأَحْسَنِهَا وَأَفْضَلِهَا، وَأَشْهَدُ أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَهَادَةً أَدَّخِرُهَا لَلَحْظَةِ الْفِرَاقِ، وَالْتِفَافِ السَّاقِ بِالسَّاقِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى دَرْبِهِ وَاقْتَفَوْا آثَارَهُ فِي الْمَنْهَجِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

أَمَّا بَعْدُ:

•فَمِنَ الْحِكَمِ الْمَأْثُورَةِ: لِسَانُ الْحَالِ أَبْيَنُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ،

وَيُقْصَدُ بِلِسَانِ الْحَالِ الْقَرَائِنُ الدَّالَّةُ وَالْمُخْبِرَةُ عَنْ مَكْنُونِ الْقَلْبِ،وَلِسَانُ الْحَالِ لَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالتَّحْقِيقِ بِخِلَافِ لِسَانِ الْقَالِ وَالْخَبَرِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّكْذِيبَ وَالتَّصْدِيقَ،وَإِذَا وَحَّدَ الْعَبْدُ بَيْنَ الْقَالِ وَالْحَالِ عَلَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ،وَمَنْ عَلَتْ مَنْزِلَتُهُ عِنْدَ مَوْلَاهُ ارْتَفَعَتْ مَكَانَتُهُ فِي النُّفُوسِ،وَكَانَ لِقَالِهِ وَقْعٌ فِي الْقُلُوبِ،

فَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ لِسَانِ الْحَالِ وَلِسَانِ الْخَبَرِ وَالْقَالِ تَرَكَتْ كَلِمَاتُهُ أَثَرًا فِي الْقُلُوبِ لَا يَنْمَحِي،وَهَذَا مَا عَبَّرَ عَنْهُ بَعْضُ السَّلَفِ الصَّالِحِ فَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ(الْمُجَالَسَة) لِلدَّيْنُورِيِّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–ص: ٧٣٦ أَنَّ عُمَرَ بْنَ ذَرٍّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى– (ت ١٥٦ هـ) سَأَلَ أَبَاهُ يَوْمًا:

{ يَا أَبَتِ، مَا لَكَ إِذَا تَكَلَّمْتَ أَبْكَيْتَ النَّاسَ، وَإِذَا تَكَلَّمَ غَيْرُكَ لَمْ يُبْكِهِمْ؟ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، لَيْسَتِ النَّائِحَة الثَّكْلَى مِثْلَ النَّائِحَة الْمُسْتَأْجَرَة }.،فَالْعَالِمُ الَّذِي لَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ الْحَالِ وَالْقَالِ فَلَمْ يُوافِق الْقَوْل الْعَمَل وَالْفِعْل زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ كَمَا يَزِلُّ الْقَطْرُ عَنِ الصَّفَا،فَالْقَوْلُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْقَلْبِ اسْتَقَرَّ فِي الْقَلْبِ،

وَإِذَا خَرَجَ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْآذَانِ ،قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:قَالَ لِي أَبُو قلَابَة–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–:

{ إِذَا أَحْدَثَ اللَّهُ لَكَ عِلْمًا،فَأَحْدِث لَهُ عِبَادَةً، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ }.،وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ أَنَّ عُثْمَانَ بْن عَفَّان . رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ . فِي بِدَايَةِ خِلَافَتِهِ عِنْدَمَا بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ صَعِدِ الْمِنْبَرَ فَقَالَ:{ الْحَمْدُ للهِ،وَارْتَجّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ كَانَا يُعِدَّانِ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا، وَإِنَّكُمْ إِلَى إِمَامٍ فَعَّالٍ أَحْوَج مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَوَّالٍ.. ثُمَّ نَزَلَ }.(يُنْظَرُ:كِتَاب بَهْجَة الْمَجَالِسِ وَأُنْس الْمَجَالِسِ لابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ ص:١٠).

•وَلَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَجْمَعَ الْخَلْقِ لِجَمَالِ الْحَالِ وَعَذْبِ الْمَقَالِ،وَلَقَدْ زَكَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْظَمَ التَّزْكِيَةِ، زَكَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأنِهِ كُلِّهِ فَقَالَ تَعَالَى:{مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ}.(النَّجم:٢).

–فَقَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى فِي صَدْرِ السُّورَةِ بِالنُّجُومِ إِذَا غَابَتْ،

وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ، تَنْزِيهُ الرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَنِ الضَّلَالِ فِي عِلْمِهِ، وَالْغَيِّ فِي قَصْدِهِ، وَيَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مُهْتَدِيًا فِي عِلْمِهِ، هَادِيًا، حَسَنَ الْقَصْدِ، نَاصِحًا للأمَّةِ بِعَكْسِ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الضَّلَالِ مِنْ فَسَادِ الْعِلْمِ، وَفَسَادِ الْقَصْدِ

–وَقَالَ {صَاحِبُكُمْ} لِيُنَبِّهَهُمْ عَلَى مَا يَعْرِفُونَهُ مِنْهُ، مِنَ الصِّدْقِ وَالْهِدَايَةِ، وَأَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ



وَزَكَّاهُ رَبُّهُ تَعَالَى فِي مَنْطِقِ لِسَانِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ(٣)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ }.(النَّجم:٣–٤).

–{وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ} أَيْ:

لَيْسَ نُطْقُهُ صَادِرًا عَنْ هَوَى نَفْسِهِ،فَمَا يَقُولُ قَوْلًا عَنْ هَوىً وَغَرَضٍ.

–{ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى } أَيْ: لَا يَتَّبِعُ إِلَّا مَا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْهُدَى وَالتَّقْوَى، فِي نَفْسِهِ وَفِي غَيْرِهِ.وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ لِرَسُولِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–كَمَا قَالَ تَعَالَى:{وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} وَأَنَّهُ مَعْصُومٌ فِيمَا يُخْبِرُ بِهِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ شَرْعِهِ، لأنَّ كَلَامَهُ لَا يَصْدُرُ عَنْ هَوَى ، وَإِنَّمَا يَصْدُرُ عَنْ وَحْيٍ يُوحَى.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ }.(النَّجم:٥).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{ثُمَّ ذَكَرَ الْمُعَلِّمَ للرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَهُوَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–،أفْضَلُ الْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ وَأقْوَاهُمْ وأكملهم، فقال: { عَلَّمَهُ [شَدِيدُ الْقُوَى] } أيْ: نَزَلَ بِالْوَحْيِ عَلَى الرَّسُولِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، { شَدِيدُ الْقُوَى} أيْ:شَدِيدُ الْقُوَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، قَوِيٌّ عَلَى تَنْفِيذِ مَا أمَرَهُ اللَّهُ بِتَنْفِيذِهِ، قَوِيٌّ عَلَى إيصَالِ الْوَحْيِ إلَى الرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَمَنْعِهِ مِنَ اخْتِلَاسِ الشَّيَاطِينِ لَهُ، أوْ إدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، وَهَذَا مِنْ حِفْظِ اللَّهِ لِوَحْيِهِ،أنْ أرْسَلَهُ مَعَ هَذَا الرَّسُولِ الْقَوِيِّ الْأمِينِ}.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى قَلْبَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ }.(النَّجم: ١١).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى } أيْ: اتَّفَقَ فُؤَادُ الرَّسُولِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَرُؤْيَتِهِ عَلَى الْوَحْيِ الَّذِي أوْحَاهُ اللَّهُ إلَيْهِ، وَتَوَاطَأ عَلَيْهِ سَمْعُهُ وَقَلْبُهُ وَبَصَرُهُ،وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْوَحْيِ الَّذِي أوْحَاهُ اللَّهُ إلَيْهِ،وَأنَّهُ تَلَقَّاهُ مِنْهُ تَلَقِّيًا لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا شُبْهَةَ وَلَا رَيْبَ، فَلَمْ يَكْذِبْ فُؤَادُهُ مَا رَأى بَصَرُهُ،وَلَمْ يَشُكَّ بِذَلِكَ.وَيُحْتَمَلُ أنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ مَا رَأى–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لَيْلَةَ أسْرِيَ بِهِ، مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ، وَأنَّهُ تَيَقَّنَهُ حَقًّا بِقَلْبِهِ وَرُؤْيَتِهِ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ فِي تَأْوِيلِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَقِيلَ:

إنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ رُؤْيَةُ الرَّسُولِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لِرَبِّهِ لَيْلَةَ الْإسْرَاءِ، وَتَكْلِيمُهُ إيَّاهُ، وَهَذَا اخْتِيَارُ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ، فَأثْبَتُوا بِهَذَا رُؤْيَةَ الرَّسُولِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–لِرَبِّهِ فِي الدُّنْيَا،وَلَكِنَّ الصَّحِيحَ الْقَوْلُ الْأوَّلُ، وَأنَّ الْمُرَادَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– رَأى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ الْأصْلِيَّةِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا مَرَّتَيْنِ،مَرَّةً فِي الْأفُقِ الْأعْلَى، تَحْتَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا كَمَا تَقَدَّمَ، وَالْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ فَوْقَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ لَيْلَةَ أسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–}.

لسانُ الحال أبين من لسانِ المقال
سَيِّد عَبْد القَاطِي بْن مُحَمَّد الذَّهَبِي

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى بَصَرَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ }.(النَّجم:١٧).

–{ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى } أيْ: مَا زَاغَ يُمْنَةً وَلَا يُسْرَةً عَنْ مَقْصُودِهِ { وَمَا طَغَى } أيْ: وَمَا تَجَاوَزَ الْبَصَرُ، وَهَذَا كَمَالُ الْأدَبِ مِنْهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، أنْ قَامَ مَقَامًا أقَامَهُ اللَّهُ فِيهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ عَنْهُ وَلَا تَجَاوَزَهُ وَلَا حَادَ عَنْهُ،وَهَذَا أكْمَلُ مَا يَكُونُ مِنَ الْأدَبِ الْعَظِيمِ، الَّذِي فَاقَ فِيهِ الْأوَّلِينَ

وَالْآخِرِينَ، فَإِنَّ الْإِخْلَالَ يَكُونُ بِأحَدِ هَذِهِ الْأُمُورِ: إِمَّا أَنْ لَا يَقُوم الْعَبْدُ بِمَا أُمِرَ بِهِ، أَوْ يَقُوم بِهِ عَلَى وَجْهِ التَّفْرِيطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْإِفْرَاطِ، أَوْ عَلَى وَجْهِ الْحَيْدَةِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَهَذِهِ الْأُمُورُ كُلُّهَا مُنْتَفِيَةٌ عَنْهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.–

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى صَدْرَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ }.(الشَّرْح: ١).

–يَقُولُ تَعَالَى –مُمْتَنًا عَلَى رَسُولِهِ–: { أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } أيْ: نُوَسِّعُهُ لِشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ، وَالاتِّصَافِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْآخِرَةِ، وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ فَلَمْ يَكُنْ ضَيِّقًا حَرَجًا، لَا يَكَادُ يَنْقَادُ لِخَيْرٍ، وَلَا تَكَادُ تَجِدْهُ مُنْبَسِطًا.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى ذِكْرَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ }.(الشَّرْح: ٤)

–{ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ } أيْ: أعْلَيْنَا قَدْرَكَ، وَجَعَلْنَا لَكَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ الْعَالِيَ، الَّذِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ، فَلَا يُذْكَرُ اللَّهُ إِلَّا ذُكِرَ مَعَهُ رَسُولُهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، كَمَا فِي الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، وَفِي الْأَذَانِ، وَالْإِقَامَةِ، وَالْخُطَبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي أعْلَى اللَّهُ بِهَا ذِكْرَ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.وَلَهُ فِي قُلُوبِ أمَّتِهِ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّعْظِيمِ مَا لَيْسَ لأحَدٍ غَيْرِهِ، بَعْدَ اللَّهِ تَعَالَى، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنْ أمَّتِهِ أفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أمَّتِهِ.

•وَزَكَّى اللَّهُ تَعَالَى أخْلَاقَ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ تَعَالَى:{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }.(القلم: ٤).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن بْن نَاصِر السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِهَا:{{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } أيْ: عَالِيًا بِهِ، مُسْتَعْلِيًا بِخُلُقِكَ الَّذِي مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ بِهِ، وَحَاصِلُ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ، مَا فَسَّرَتْهُ بِهِ أمُّ الْمُؤْمِنِينَ،عَائِشَةُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا– لِمَنْ سَألَهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: (كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ)، وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى لَهُ: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ }.

{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ }.(الآية)، { لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ } وَمَا أشْبَه ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى اتِّصَافِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بمَكَارِمِ الْأخْلَاق، وَالْآيَاتُ الْحَاثَّاتُ عَلَى الْخُلُقِ الْعَظِيمِ فَكَانَ لَهُ مِنْهَا أكْمَلُهَا وَأجَلُّهَا، وَهُوَ فِي كُلِّ خَصْلَةٍ مِنْهَا، فِي الذُّرْوَةِ الْعُلْيَا، فَكَانَ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–سَهْلًا لَيِّنًا، قَرِيبًا مِنَ النَّاسِ، مُجِيبًا لِدَعْوَةِ مَنْ دَعَاهُ، قَاضِيًا لِحَاجَة مَنِ اسْتَقْضَاهُ، جَابِرًا لِقَلْبِ مَنْ سَألَهُ،لَا يَحْرِمُهُ،وَلَا يَرُدُّهُ خَائِبًا،وَإِذَا أَرَادَ أَصْحَابُهُ مِنْهُ أمْرًا وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ، وَتَابَعَهُمْ فِيهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيه مَحْذُورٌ، وَإِنْ عَزَمَ عَلَى أمْرٍ لَمْ يَسْتَبِدّ بِهِ دُونَهُمْ ، بَلْ يُشَاوِرُهُمْ وَيُؤَامِرُهُمْ ، وَكَان يَقْبَلُ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَعْفُو عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ يُعَاشِرُ جَلِيسًا لَهُ إِلَّا أتَمَّ عِشْرَةٍ وَأحْسَنَهَا، فَكَانَ لَا يَعْبَسُ فِي وَجْهِهِ، وَلَا يَغْلُظُ عَلَيْهِ فِي

مَقَالِهِ، وَلَا يَطْوِي عَنْهِ بِشْرَهُ، وَلَا يُمْسِكُ عَلَيْهِ فَلَتَاتِ لِسَانِهِ، وَلَا يُؤَاخِذُهُ بِمَا يَصْدُرُ مِنْهُ مِنْ جَفْوَةٍ، بَلْ يُحْسِنُ إلَي عَشِيرِهِ غَايَةَ الْإِحْسَانِ، وَيَحْتَمِلُهُ غَايَةَ الاحْتِمَالِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–}.

•وَفَضَّلَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى:{ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }.(البقرة:٢٥٣).

–وَالَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُفَسِّرِينَ أنَّ الْمَقْصُودَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ}.(البقرة: ٢٥٣)

هُوَ سَيِّدُنَا مَحَمَّدٌ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنَّهُ هُوَ صَاحِبُ الدَّرَجَاتِ الرَّفِيعَةِ، وَصَاحِبِ الْمُعْجِزَةِ الْخَالِدَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَصَاحِبُ الرِّسَالَةِ الْجَامِعَةِ لِمَحَاسِنِ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةِ السَّابِقَةِ.



–وَمِنْ تَفْضِيلِهِ عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ أنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَمَعَ لَهُ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ وَصَلَّى بِهِمْ إمَامًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَكَذَلِكَ فِي عُرُوجِهِ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَارْتِفَاعِهِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ كَآدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا،

وَابْنَيْ الْخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَا فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ،

وَيُوسُفَ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ،وَإِدْرِيس فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ،

وَهَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ فِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ،وَمُوسَى الْكَلِيم فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ،وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،بَل وَجِبْرِيلَ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا أفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأتَمُّ التَّسْلِيمِ،هَذَا دَلِيلُ تَفْضِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

•وَقَرَنَ اسْمَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إلَى اسْمِهِ سُبْحَانَهُ فِي شَهَادَةِ الْحَقِّ وَالدُّخُولِ إلَى الْإِسْلَامِ،وَيُصْدَحُ بِهَا عَلَى الْمَآذِنِ إلَى أنْ يَرَثَ اللَّهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا.

•وَقَدْ أخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَى الْإِيمَانِ بِخَاتَمِ أنْبِيَائه وَرُسُلِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّنَ لَمَا ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ }.

(آل عمران: ٨١).

•وَمِنْ تَفْضِيلِ اللَّهِ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–عَلَى سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(٢٣١٣)مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

:–{ فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ }.

–وَفِي رِوَايَةِ الشَّيْخَيْنِ الْبُخَارِيّ بِرَقْمِ(٤٣٨)وَمُسْلِم بِرَقْمِ)٥٢١(

مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ–رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–:{ أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ مِنَ الأنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّما رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ }.

–وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ (٢٢٨٦)مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيانًا فَأحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ:هَلّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأنَا اللَّبِنَةُ، وَأنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ }. وَفِي رِوَايَةٍ :{ مَثَلِي وَمَثَلُ النَّبِيِّينَ فَذَكَرَ نَحْوَهُ }.

–وَمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(2278)مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ–رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ–قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:{ أنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ }.

•وَلَقَدْ كَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بَيْنَ أُمَّتِهِ وَمِنْ مَظَاهِرِ هَذَا التَّكْرِيمِ:



(1) وُجُوبُ اتِّبَاعِهِ وَالتَّأَسِّي بِهِ:

–قَالَ تَعَالَى:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.(آل عمران: ٣١).

–وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا }(.الأحزاب: ٢١.)



(2)وُجُوبُ طَاعَتِهِ وَالْحَذَرُ مِنْ مُخَالَفَتِهِ:

–قَالَ تَعَالَى:{ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا }.(النِّساء: ٨٠).

–وَقَالَ تَعَالَى:{ لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }. (النّور:٦٣).

–وَقَالَ تَعَالَى:{ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ }. (الحشر:٧).



(3) عَدَمُ التَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَعَدَمُ رَفْعِ الصَّوْتِ عَلَى صَوْتِهِ:

–قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }.(الحجرات: ١).

–وَقَالَ تَعَالَى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٤)وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }.(الحجرات: ٢–٥).



(4) تَقْدِيمُ مَحَبَّتِهِ عَلَى الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالنَّفْسِ وَالْمَالِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ }.(التّوبة:٢٤).

-وَأخْرَجَ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(15)مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:{ لَا يُؤْمِنُ أحَدُكُمْ، حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أجْمَعِينَ }.

-وَمَا أخْرَجَهُ الْإمَامُ الْبُخَارِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمِ(6632)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِشَامٍ-رَضِيّ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: { لَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، حَتَّى أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَإنَّهُ الآنَ، وَاللَّهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْآنَ يَا عُمَرُ }.

-وَكَرَّمَ مَنْ قَدَّمَ حُبَّهُ عَلَى حُبِّ النَّفْسِ أنَّهُ سَيُحْشَر مَعَهُ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-فَقَدْ أخْرَجَ الشَّيْخَانِ الْبُخَارِيُّ بِرَقَمِ)٦١٦٧)وَمُسْلِمٌ بِرَقَمِ(٢٦٣٩)مِنْ حَدِيثِ أنَسِ بْنِ مَالِكٍ-رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ-:أنَّ رَجُلًا مِنْ أهْلِ الْبَادِيَةِ أتَى النَّبِيَّ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ؟ قَالَ:{ وَيْلَكَ! وَمَا أعْدَدْتَ لَهَا؟ قَالَ: مَا أعْدَدْتُ لَهَا إلَّا أنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: إنَّكَ مَعَ مَنْ أحْبَبْتَ. فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا، فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ -وَكَانَ مِنْ أقْرَانِي- فَقَالَ: إنْ أُخِّرَ هَذَا، فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ }.



(5)وُجُوبُ الْإيمَانِ بِهِ وَنُصْرَتِهِ وَتَوْقِيرِهِ:

(6) وُجُوبُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ:

-قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:{ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا }.(الأحزاب:٥٦).

•فَبِصِدْقِ حَالِهِ وَطِيبِ مَقَالِهِ مَلَكَ الْقُلُوبَ،فَبَنَى أُمَّةً وَأَقَامَ دَوْلَةً فِي أَقَلِّ مِنْ رُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ،فَمِنْ جَمِيلِ خِلَالِهِ وَشِيَمِهِ غَلَبَتْ صِفَتُهُ اسْمَهُ فَكَانَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُدْعَى قَبْلَ بِعْثَتِهِ بِالصَّادِقِ الْأَمِينِ.

•قَالَ صَفِيُّ الرَّحْمَنِ الْمُبَارَكْفُورِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي (الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ) ص:٦٧-٦٨: { وَلِخَمْسٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ مَوْلِدِهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَامَتْ قُرَيْشٌ بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ الْكَعْبَةَ كَانَتْ رَضْمًا-أيْ:صخورًا- فَوْقَ الْقَامَةِ، ارْتِفَاعُهَا تَسْعَةُ أَذْرُعٍ مِنْ عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ-عَلَيْهِ السَّلَامُ-،وَلَمْ يَكُنْ لَهَا سَقْفٌ، فَسَرَقَ نَفَرٌ مِنَ اللُّصُوصِ كَنْزَهَا الَّذِي كَانَ فِي جَوْفِهَا، وَكَانَتْ مَعَ ذَلِكَ قَدْ تَعَرَّضَتْ . بِاعْتِبَارِهَا أَثَرًا قَدِيمًا. لِلعَوَادِي الَّتِي أَدْهَتْ بُنْيَانَهَا، وَصَدَّعَتْ جُدْرَانَهَا، وَقَبْلَ بَعْثَتِهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِخَمْسِ سِنِينَ جَرَفَ مَكَّةَ سَيْلٌ عَرِمٌ انْحَدَرَ إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَأَوْشَكَتِ الْكَعْبَةُ مِنْهُ عَلَى الانْهِيَارِ، فَاضْطَرَّتْ قُرَيْشٌ إِلَى تَجْدِيدِ بِنَائِهَا حِرْصًا عَلَى مَكَانَتِهَا، وَاتَّفَقُوا عَلَى أَلَّا يُدْخِلُوا فِي بِنَائِهَا إِلَّا طَيِّبًا، فَلَا يُدْخِلُونَ فِيهَا مَهْرَ بَغِيٍّ وَلَا بَيْعَ رِبًا وَلَا مَظْلَمَةَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، وَكَانُوا يَهَابُونَ هَدْمَهَا، فَابْتَدَأَ بِهَا الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيُّ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ وَقَالَ:

اللَّهُمَّ لَا نُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ، ثُمَّ هَدَمَ نَاحِيَةَ الرُّكْنَيْنِ، وَلَمَّا لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ تَبِعَهُ النَّاسُ فِي الْهَدْمِ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي، وَلَمْ يَزَالُوا فِي الْهَدْمِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ أَرَادُوا الْأَخْذَ فِي الْبِنَاءِ فَجَزَّأُوا الْكَعْبَةَ، وَخَصَّصُوا لِكُلِّ قَبِيلَةٍ جُزْءًا مِنْهَا.

فَجَمَعَتْ كُلُّ قَبِيلَةٍ حِجَارَةً عَلَى حِدَةٍ، وَأَخَذُوا يَبْنُونَهَا، وَتَوَلَّى الْبِنَاءَ بَنَّاءٌ رُومِيٌّ اسْمُهُ: بَاقُوم. وَلَمَّا بَلَغَ الْبُنْيَانُ مَوْضِعَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَنْ يَمْتَازُ بِشَرَفِ وَضْعِهِ فِي مَكَانِهِ، وَاسْتَمَرَّ النِّزَاعُ أَرْبَعَ لَيَالٍ أَوْ خَمْسًا، وَاشْتَدَّ حَتَّى كَاد يَتَحَوَّل إِلَى حَرْبٍ ضَرُوسٍ فِي أَرْضِ الْحَرَمِ،إِلَّا أَنَّ أَبَا أُمَيَّةَ بْنَ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيَّ عَرَضَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُحَكِّمُوا فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ أَوَّلَ دَاخِلٍ عَلَيْهِمْ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ فَارْتَضُوهُ، وَشَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَسُول اللَّهِ-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَلَمَّا رَأَوْهُ هَتَفُوا: هَذَا الْأَمِينُ، رَضِينَاهُ، هَذَا مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ، وَأَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ طَلَبَ رِدَاءً فَوَضَعَ الْحَجَرَ وَسَطَهُ وَطَلَبَ مِنْ رُؤَسَاءِ

الْقَبَائِلِ الْمُتَنَازِعِينَ أنْ يُمْسِكُوا جَمِيعًا بِأطْرَافِ الرِّدَاءِ، وَأَمَرَهُمْ أنْ يَرْفَعُوهُ، حَتَّى إذَا أوْصَلُوهُ إلَى مَوْضِعِهِ أخَذَهُ بِيَدِهِ فَوَضَعَهُ فِي مَكَانِهِ، وَهَذَا حَلٌّ حَصِيفٌ رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ}.(وَهَذَا الْحَدِيثُ لَهُ شَاهِدٌ عِنْدَ الْإمَامِ أحْمَد فِي الْمُسْنَدِ مِنْ حَدِيثِ السَّائِبِ بْن عَبْد اللَّهِ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ عَلَى شَرْطِ مُسْلِم).

•فَصِدْقُ حَالِهِ وَأمَانَتُهُ كَانَ لَهُمَا أكْبَرُ الْأثَرِ عَلَى نُفُوسِ كُلِّ مَنْ حَوْلَهُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.–

•لَقَدْ كَانَتْ رِسَالَتُهُ رَحْمَةً للعَالَمِين،وَهِدَايَةً للضَّالِينَ،وَتَبْصِرَةً لأصْحَابِ الْعَمى،وَتَعْلِيمًا للجَاهِلِينَ.

–قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ }.(الأنبياء:١٠٧).

–فَهَذَا ثَنَاءٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–الَّذِي جَاءَ بِالْقُرْآنِ فَقَالَ: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ } فَهُوَ رَحْمَتُهُ الْمُهْدَاةُ لِعِبَادِهِ، فَالْمُؤْمِنُونَ بِهِ، قَبِلُوا هَذِهِ الرَّحْمَةَ، وَشَكَرُوهَا، وَقَامُوا بِهَا، وَغَيْرُهُمْ كَفَرَهَا، وَبَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا، وَأبَوْا رَحْمَةَ اللهِ وَنِعْمَتَهُ.

–لَقَّبَهُ الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالصَّادِقِ الْأمِين،وَغَلَبَتْ صِفَتُهُ عَلَى اسْمِهِ،وَكَانُوا يحتكِمُونَ إلَيْهِ لِرَجَاحَةِ عَقْلِهِ وَسَدَادِ رَأيِهِ،فَلَمَّا أرْسَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْقُرْآنِ عَادَاهُ قَوْمُهُ وَنَالَ مِنْهُمْ أشَدَّ أنْوَاعِ الْبَلَاءِ وَالتَّكْذِيبِ،فَقَالُوا عَنْهُ أنَّهُ سَاحِرٌ وَمَجْنُونٌ وَكَاذِبٌ وَكَاهِنٌ وَشَاعِرٌ، وَآمَنَ بِهِ الصَّادِقُونَ وَتَعَرَّضُوا لأشَدِّ أنْوَاعِ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ حَتَّى أمَرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إلَى الْحَبَشَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ،وَكَانَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَتَحَمَّلُ إيذَاءَ قَوْمِهِ وَيَدْعُو لَهُمْ قَائلًا:اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.



•وَإلَيْكَ بَعْضُ صُورِ الشِّدَائدِ الَّتِي لَاقَاهَا النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فَصَبَرَ حَتَّى جَاءَهُ الْفَرَجُ مِنَ اللهِ تَعَالَى:

–أخْرَجَ الْإمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقْمِ(208)مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا–قَالَ:{ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ }.(الشّعراء: ٢١٤) وَرَهْطَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ، خَرَجَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–حَتَّى صَعِدَ الصَّفَا، فَهَتَفَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَقَالُوا: مَنْ هَذَا الَّذِي يَهْتِفُ؟ قَالُوا: مُحَمَّدٌ، فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فَقَالَ: يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي فُلَانٍ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَاجْتَمَعُوا إلَيْهِ، فَقَالَ: أرَأَيْتَكُمْ لَوْ أخْبَرْتُكُمْ أنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الْجَبَلِ، أكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا:

مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ أَمَا جَمَعْتَنَا إِلَّا لِهَذَا، ثُمَّ قَامَ فَنَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ:(تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وتَبَّ.) }

–وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي صَحِيحِهِ بِرَقَمٍ(1795)مِنْ حَدِيثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا–قَالَتْ:قَلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: {لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، قَالَ:

فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ– صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–:بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا}.

–فَفِي هَذَا الْحَدِيثِ:تَوَجَّهَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–إِلَى ثَلَاثةِ زُعَمَاءَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَهُمْ سَادَتُهُمْ؛ وَهُم: عَبْدُ يَالِيلَ، وَحَبِيبٌ، وَمَسْعُودٌ بَنُو عَمْرٍو، فَلَمْ يَسْتجِبْ لَهُ أَحَدٌ إِلَى مَا طَلَبَهُ حِينَئِذٍ مِنَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ إِعْطَائِهِ الْعَهْدَ وَالْأَمَانَ، بَلْ وَجَدَ مَا لَمْ يَتَصَوَّرْهُ مِنَ الْجُحُودِ، وَالْإِنْكَارِ، وَالاسْتِهْزَاءِ، وَالصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ، وَزَادُوا عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُمْ آذَوْهُ وَسَلَّطُوا عَلَيْهِ صِغَارَهُمْ وَسُفَهَاءَهُمْ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ مِنْ قَدَمَيْهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،فَخَرَجَ مِنَ الطَّائِفِ عَائِدًا إِلَى مَكَّةَ، فَذَهَبَ حَيْرَانَ هَائِمًا لَا يَدْرِي أَيْنَ يَتَوَجَّهُ مِنْ شِدَّةِ ذَلِكَ الْغَمِّ، وَصُعُوبَةِ ذَلِكَ الْهَمِّ، فَلَمْ يُفِقْ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنَ الْغَمِّ وَالْهَمِّ، حَتَّى بَلَغ قَرْنَ الثَّعَالِبِ، وَالْقَرْنُ:

الْجَبَلُ الصَّغِيرُ، وَقَرْنُ الثَّعَالِبِ: جَبَلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّ الثَّعَالِبَ كَانَتْ تَأْوِي إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ لُحُومِ الْأَضَاحِي وَالْهَدْيِ، وَهُوَ يُجَاوِرُ مَوْضِعَ قَرْنِ الْمَنَازِلِ مِنَ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ، وَيُعْرَفُ الْيَوْمَ بِالْمَنْحُوتِ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَى مَوْضِعِ السَّيْلِ الْكَبِيرِ مِنْهُ إِلَى قَرْيَةِ السَّيْلِ الصَّغِيرِ، وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ فِي مِنًى، وَهُوَ الْعِرْقُ الَّذِي كَانَ مُلَاصِقًا لمَسْجدِ الْبَيْعَةِ مِنْ جَنُوبِهَا الشَّرْقِيِّ، مِمَّا يَلِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، وَقَدْ تمَّتْ إِزَالَتُهُ لأَسْبَابِ التَّوْسِعَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَيْهِ الْيَوْمَ رَبْوَةَ مِنًى، وَيَمُرُّ عَلَى طَرَفِهِ الْغَرْبِيِّ الشَّارِعُ الْقَادِمُ مِنْ جِسْرِ الْمَلِكِ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

وَفِي هَذَا الْمَكَانِ رَفَعَ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –رَأسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا هُوَ بِسَحَابَةٍ قَدْ أظَلَّتْهُ عَلَى غَيْرِ الْعَادَةِ، فَنَظَرَ فَإِذَا فِي السَّحَابَةِ جِبْرِيلُ–عَلَيْهِ السَّلَامُ–،وَهُوَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالْوَحْيِ، فَنَادَاهُ فَقَالَ: إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَهُمْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَغيرِهِمْ مِنْ أهْلِ الطَّائِفِ وَثَقِيفٍ، وَكَانَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ مَنَعُوا حِمَايَتَهُ بَعْدَ مَوْتِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانُوا إذَا قَامَ إلَى الصَّلَاةِ آذَوْهُ أَشَدَّ الْأَذَى، وَلِذَلِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ مَلَكَ الْجِبَالِ لِيَأمُرَهُ بِمَا شَاءَ فِيهِمْ، فَنَادَاهُ مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، أيْ: ذَلِكَ كَمَا قَالَ جِبْرِيلُ، أوْ كَمَا سَمِعْتَ مِنْهُ، فَإِذَا أَرَدْتَ أنْ أَقْلِبَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ لَفَعَلْتُ، وَالْأَخْشَبُ كُلُّ جَبَلٍ غَلِيظٍ، وَالْأَخْشَبَانِ هُمَا جَبَلَانِ يُضَافَانِ إلَى مَكَّةَ مَرَّةً، وَإِلَى مِنًى أُخْرَى، وَهُمَا وَاحِدٌ، وَقِيلَ: الْأخْشَبَانِ: الْجَبَلَانِ المُطْبِقَانِ بِمَكَّةَ، وَهُمَا أبُو قُبَيْسٍ، وَالْآخَرُ قُعَيْقِعَانَ؛ جَبَلٌ بِمَكَّةَ وَجْهُهُ إلَى أبِي قُبَيْسٍ، أوْ الْجَبَلُ الْأحْمَرُ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَى قُعَيْقِعَانَ، وَهُنَا تَجَلَّتْ رَحْمَةُ النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَأَخْبَرَ مَلَكَ الْجِبَالِ أنَّهُ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ الْعَذَابَ لِقَوْمِهِ وَإِنِ اسْتَحَقُّوا لِكُفْرِهِمْ، بَلْ إِنَّهُ يَرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أصَلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ، فَيُوَحِّدُهُ مُنْفَرِدًا، أوْ يُطِيعُهُ مُخْلِصًا لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا.

وَقَدْ كَانَ مَا رَجَاهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، حَيْثُ دَخَلَتْ مَكَّةُ وَالطَّائِفُ فِي دِينِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَحَسُنَ إسْلَامُهُمْ، وَكَانَ مِنْهُمْ مُسْلِمُونَ مُوَحِّدُونَ بِاللهِ، وَقَادَةٌ عُظَمَاءُ وَسَّعُوا رُقْعَةَ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

•بَلْ تَعَاقَدَ الْمُشْرِكُونَ وَتَعَاهَدُوا عَلَى قَتْلِهِ،فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ،وَنَجَّاهُ مِنْ مَكْرِ قَوْمِهِ.

–قَالَ اللهُ تَعَالَى:{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ }.(الأنفال: ٣٠).



–وَاذْكُرْ –أيُّهَا الرَّسُولُ– حِينَ يَكِيدُ لَكَ مُشْرِكُو قَوْمِكَ بـ(مَكَّةَ)؛ لِيَحْبِسُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يَنْفُوكَ مِنْ بَلَدِكَ.وَيَكِيدُون لَكَ، وَرَدَّ اللهُ مَكْرَهُمْ عَلَيْهِمْ جَزَاءً لَهُمْ، وَيَمْكُرُ اللهُ، وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ،وَمَكْرُ اللهِ تَعَالَى يُذْكَرُ فِي مُقَابَلَةِ مَكْرِ الْأعْدَاءِ وَهُوَ التَّدْبِيرُ بِالْحَقِّ وَمُجَازَاتُهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ،فَقَدْ أَيَّدَ رَسُولَهُ وَأعْمَى أبْصَارَهُمْ عَنْهِ عِنْدَمَا اجْتَمَعُوا لِقَتْلِهِ وَخَرَجَ مُهَاجِرًا وَصَرَفَهُمْ عَنْهُ فِي الْغَارِ وَأَيَّدَهُ بِالْأَنْصَارِ فِي الْمَدِينَةِ.

–وَقَالَ اللهُ تَعَالَى:{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }.(التّوبة: ٤٠).

–قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ–رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى–فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ:{ أي: إِلَّا تَنْصُرُوا رَسُولَهُ مُحَمَّدًا . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَاللّهُ غَنِيٌّ عَنْكُمْ، لَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا، فَقَدْ نَصَرَهُ فِي أَقَلِّ مَا يَكُونُ وَأَذَلِّهِ {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} مِنْ مَكَّةَ لَمَّا هَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَسَعَوْا فِي ذَلِكَ، وَحَرَصُوا أَشَدَّ الْحِرْصِ، فَأَلْجَؤوهُ إِلَى أَنْ يَخْرُجَ.

{ثَانِيَ اثْنَيْنِ} أيْ: هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ– رَضِيَ اللّهُ عَنْه–. {إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} أيْ:لَمَّا هَرَبَا مِنْ مَكَّةَ، لَجَآ إِلَى غَارِ ثَوْرٍ فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَمَكَثَا فِيهِ لِيَبْرُدَ عَنْهُمَا الطَّلَبُ.

فَهُمَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ الْحَرِجَةِ الشَّدِيدَةِ الْمَشَقَّةِ،حِينَ انْتَشَرَ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ يَطْلُبُونَهُمَا لِيَقْتُلُوهُمَا، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْهِمَا مِنْ نَصْرِهِ مَا لَا يَخْطِرُ عَلَى الْبَالِ.

{ إِذْ يَقُولُ } النَّبِيُّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . { لِصَاحِبِهِ } أَبِي بَكْرٍ لَمَّا حَزَنَ وَاشْتَدَّ قَلَقُهُ، { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا } بِعَوْنِهِ وَنَصْرِهِ وَتَأْيِيدِهِ.

{ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ } أيْ: الثَّبَاتُ وَالطُّمَأنِينَةُ، وَالسُّكُونُ الْمُثَبِّتَةُ للفُؤَادِ، وَلِهَذَا لَمَّا قَلِقَ صَاحِبُهُ سَكَّنَهُ وَقَالَ { لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا }.

{ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا } وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ، الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللّهُ حَرَسًا لَهُ، { وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى } أيْ: السَّاقِطَةُ الْمَخْذُولَةُ، فَإِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَدْ كَانُوا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ، فِي ظَنِّهِمْ عَلَى قَتْلِ الرَّسُولِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ، وَأَخْذِهِ، حَنِقِينَ عَلَيْهِ، فَعَمِلُوا غَايَةَ مَجْهُودِهِمْ فِي ذَلِكَ، فَخَذَلَهُمُ اللّهُ وَلَمْ يُتِمّ لَهُمْ مَقْصُودَهُمْ، بَلْ وَلَا أَدْرَكُوا شَيْئًا مِنْهُ.

وَنَصَرَ اللّهُ رَسُولَهُ بِدَفْعِهِ عَنْهُ، وَهَذَا هُوَ النَّصْرُ الْمَذْكُورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، فَإِنَّ النَّصْرَ عَلَى قِسْمِينِ: نَصْرُ الْمُسْلِمِينَ إِذَا طَمِعُوا فِي عَدُوِّهِمْ بِأَنْ يُتِمَّ اللّهُ لَهُمْ مَا طَلَبُوا، وَقَصَدُوا، وَيَسْتَوْلُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ وَيَظْهَرُوا عَلَيْهِمْ.

وَالثَّانِي نَصْرُ الْمُسْتَضْعَفِ الَّذِي طَمِعَ فِيهِ عَدُوُّهُ الْقَادِرُ، فَنَصْرُ اللّهِ إِيَّاهُ، أَنْ يَرُدَّ عَنْهُ عَدُوَّهُ، وَيُدَافِعَ عَنْهُ، وَلَعَلَّ هَذَا النَّصْرَ أَنْفَعُ النَّصْرَيْنِ، وَنَصْرُ اللّهِ رَسُوله إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ مِنْ هَذَا النَّوْعِ.

لسانُ الحال أبين من لسانِ المقال

سيِّد عبد العاطي بن محمد الذهبي

وَقَوْلُهُ { وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا } أيْ:كَلِمَاتُهُ الْقَدَرِيَّةُ وَكَلِمَاتُهُ الدِّينِيَّةُ، هِيَ الْعَالِيَةُ عَلَى كَلِمَةِ غَيْرِهِ، الَّتِي مِنْ جُمْلَتِهَا قَوْلُهُ: { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ }

{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } { وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ }

فَدِينُ اللّهِ هُوَ الظَّاهِرُ الْعَالِي عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ،بِالْحُجَجِ الْوَاضِحَةِ،وَالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ وَالسُّلْطَانِ النَّاصِرِ.

{ وَاللَّهُ عَزِيزٌ } لَا يُغَالِبُهُ مُغَالِبٌ، وَلَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، { حَكِيمٌ } يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا، وَقَدْ يُؤَخِّرُ نَصْرَ حِزْبِهِ إِلَى وَقْتٍ آخر، اقْتَضَتْهُ الْحِكْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ.

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَضِيلَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِخَصِيصَةٍ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهِيَ الْفَوْزُ بِهَذِهِ الْمَنْقَبَةِ الْجَلِيلَةِ، وَالصُّحْبَةِ الْجَمِيلَةِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّهُ هُوَ الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَلِهَذَا عَدُّوا مَنْ أَنْكَرَ صُحْبَةَ أَبِي بَكْرٍ للنَّبِيِّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .كَافِرًا، لأَنَّهُ مُنْكِرٌ للقُرْآنِ الَّذِي صَرَّح بِهَا.

وَفِيهَا فَضِيلَةُ السَّكِينَةِ، وَأَنَّهَا مِنْ تَمَامِ نِعْمَةِ اللّهِ عَلَى الْعَبْدِ فِي أَوْقَاتِ الشَّدَائِد وَالْمَخَاوِفِ الَّتِي تَطِيشُ بِهَا الْأَفْئِدَةُ، وَأَنَّهَا تَكُونُ عَلَى حَسَبِ مَعْرِفَةِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَثِقَتِهِ بَوَعْدِهِ الصَّادِقِ،وَبِحَسَبِ إِيمَانِهِ وَشَجَاعَتِهِ.

وَفِيهَا: أَنَّ الْحُزْنَ قَدْ يَعْرَضُ لِخَوَاصِّ عِبَادِ اللهِ الصِّدِّيقِينَ، مَعَ أَنَّ الْأَولَى . إِذَا نَزَلَ بِالْعَبْدِ . أَنْ يَسْعَى فِي ذَهَابِهِ عَنْهُ، فَإِنَّهُ مُضْعِفٌ للقَلْبِ، مُوهِنٌ للعَزِيمَةِ }.

–وَاسْتَمَرَ عَدَاءُ الْمُشْرِكِينَ للنَّبِيِّ الْأَمِينِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بَعْدَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ،فَكَانَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى،وَنَصَرَ

اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَالْمُؤمِنِينَ رَغْمَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَالْعُدَدِ،وَبَعْدَهَا بِعَامٍ كَانَتْ غَزْوَةُ أُحُدٍ وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي بِدَايَةِ الْمَعْرَكَةِ وَفَرَّ الْمُشْرِكُونَ،ثُمَّ خَالَفَ بَعْضُ الرُّمَاةِ الَّذِينَ يَحْمُونَ ظَهْرَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى جَبَلِ الرُّمَاةِ ،فَتَرَكُوا أَمَاكِنَهُمْ وَانْشَغَلُوا بِجَمْعِ الْغَنَائِمِ،وَقَدْ أَمَرَهُمُ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بِعَدَمِ مُغَادَرَةِ أَمَاكِنِهُمْ،مِمَّا أَثْمَرَ سَلْبَ النَّصْرِ مِنْ أَيْدِي الْمُسْلِمِينَ،عِنْدَمَا الْتَفَّ الْمُشْرِكُونَ وَطَوَّقُوا الْمُسْلِمِينَ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ –وَالرَّبَاعِيَةُ : السِّنُّ بَيْنَ الثَّنِيّةِ وَالنَّابِ، وَهِيَ أَرْبَعٌ:

رَبَاعِيَتَان فِي الْفَكِّ الْأَعْلَى، وَرَبَاعِيَتَانِ فِي الْفَكِّ الْأَسْفَلِ–النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَدَخَلَ الْمِغْفَرُ–زَرَدٌ(نَسِيجٌ) مِنَ الْمَعْدَنِ يُنْسَجُ عَلَى هَيْئَةِ الرَّأْسِ يُلْبَسُ تَحْتَ الْبَيْضَةِ (الْخَوْذَةُ)، أَوِ الْقَلَنْسُوَةِ(لِبَاسٌ للرَّأْسِ) ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ–فِي وَجْنَة–مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْخَدَّيْنِ–النَّبِيِّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،وَسَقَطَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–فِي الْحُفْرَةِ،وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَتْ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ،اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ فِي عَشْرَةِ آلَاف مُقَاتِلٍ وَأَحَاطُوا بِالْمَدِينَةِ إِحَاطَةَ السِّوَارِ–حِلْيَةٌ مِنَ الذَّهَبِ مُسْتَدِيرَةٌ كَالْحَلَقَةِ تُلْبَسُ فِي الْمِعْصَمِ(وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تُلْبَسُ فِيهِ السَّاعَةُ أَوِ السِّوَارُ)أَوِ الزَّنْدِ–

بِالْمِعْصَمِ،وَالْقِلَادَةِ–مَا يُجْعَلُ فِي الْعُنُقِ(الرَّقَبَةُ) مِنْ حَلْي وَنَحْوِهِ–بِالْعُنُقِ،وَحَفَرَ الْمُسْلِمُونَ خَنْدَقًا حَوْلَ الْمَدِينَةِ،وَأَرْسَلَ اللهُ رِيحًا هَزَمَ بِهَا الْأَحْزَابَ وَقَلَعَ خِيَامَهُمْ،وَقَلَبَ قُلَبَ قُدُورَهُمْ،وَفَرُّوا هَارِبِينَ مَهْزُومِينَ،وَكَفَى اللهُ الْمُؤمِنِينَ الْقِتَالَ،ثُمَّ جَاءَ الْفَتْحُ بِصُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ الَّذِي كَانَ مُقَدِّمَةً لِفَتْحِ مَكَّةَ،فَبَعْدَ عَامَيْنِ مِنْ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِوَفِي الْعَامِ الثَّامِنِ مِنَ الْهِجْرَةِ شَاءَ اللهُ تَعَالَى أَنْ تَنْقُضَ قُرَيْشٌ الصُّلْحَ لِيَدْخُلَ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–مَكَّةَ فَاتِحًا عَزِيزًا بِغَيْرِ قِتَالٍ عَلَى رَأسِ عَشْرَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ،وَدَخَلَ مَكَّةَ مُتَوَاضِعًا،وَجَاءَهُ أَهْلُ مَكَّةَ صَاغِرِينَ فَعَفَا عَنْهُمْ،وَقَالَ:اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ،وَلِسَانُ حَالِهِ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يُخْبِرُ بِأَنَّهُ حَقٌّ وَالدِّين الَّذِي جَاءَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ،فَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا،وَفِي الْعَامِ الْعَاشِرِ مِنَ الْهِجْرَةِ يَحُجُّ النَّبِيُّ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–بَيْتَ اللهِ الْحَرَامَ حَجَّةَ الْوَدَاعِ عَلَى رَأسِ أَكْثَر مِنْ مِائةِ أَلْفٍ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ بَعْدَ أَنْ بَدَأَ دَعْوَتَهُ فِي مَكَّةَ بِحُرٍّ وَعَبْدٍ،الْحُرُّ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–،

وَالْعَبْدُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ–رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ–،فَالْعِبْرَةُ بِكَمَالِ النِّهَايَةِ وَلَيْسَتْ بِنَقْصِ الْبِدَايَةِ،وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى قَلْبِ نَبِيِّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–يَوْمَ عَرَفَة قَوْلَهُ تَعَالَى:{..الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }.(المائدة:٣).

لسانُ الحال أبين من لسانِ المقال

سيد عبد العاطي بن محمد الذهبي

•حَقًّا إنَّ لِسَانَ الْحَالِ أَبْيَنُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ وَبِاجْتِمَاعِهِمَا تَعْلُو مَنْزِلَةُ الْإِنْسَانِ،وَكَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: قَوْلُ أَلْفِ رَجُلٍ قَدْ لَا يُؤثِّرُ فِي رَجُلٍ،وَعَمَلُ رَجُلٍ قَدْ يُؤثِّرُ فِي أَلْفِ رَجُلٍ، فَالْغُلَامُ الْمُؤمِنُ بِثَبَاتِهِ وَصِدْقِ حَالِهِ وَجَمِيلِ مَقَالِهِ كَانَ سَبَبًا فِي إِسْلَامِ قَرْيَةٍ وَثَبَاتِ أَهْلِهَا أَمَامَ النِّيرَانِ وَالْحَرْقِ فِي الْأُخْدُودِ.

•إِنَّهَا صُورَةُ مُؤْمِني أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ الَّذين قَصَّ الْقُرْآنُ قِصَّتَهُمْ، وَأَنْزَلَ سُورَةً تَتَحَدَّثُ عَنْهُمْ هِيَ سُورَةُ (الْبُرُوج) الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ تَعَالَي فِي مَكَّةَ عَلَي قَلْبِ رَسُولِ اللهِ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَثْنَاءَ مُعَانَاةِ النَّبِيِّ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَمُعَانَاةِ أَصْحَابِهِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ–تَسْلِيَةً وَتَثْبِيتًا للنَّبِيِّ–صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–وَلأَصْحَابِهِ–رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ–وَللأُمَّةِ الْمُسْلِمَةِ إِلَي أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَفِيهَا بَيَانٌ لِحَقِيقَةِ النَّصْرِ وَأَنَّ أَعْظَمَ الْكَرَامَةِ لُزُومُ الاسْتِقَامَةِ حَيْثُ يَقُولُ اللهُ تَعَالَي

: { وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ

الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ }.(البروج: ١-٢٢.)

لسانُ الحال أبين من لسان المقال

سيد عبد القاطي بن محمد الذهبي

-وَيُخْبِرُ النَّبِيُّ-صَلَّي اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-بِقِصَّتِهِمْ فِيمَا أخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ-رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَي-فِي صَحِيحِهِ- بِرَقَم(٣٠٠٥) مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ-رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَال:{ كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِيءَ بِالْغُلَامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ

فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ

فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ }.

•فَمَا أجْمَلَ صِدْقَ الْحَالِ وَصِدْقَ الْمَقَالِ.!!

•وَمَا أجْمَلَ الرِّفْقَ وَالسَّمَاحَةَ فِي شَأنِكَ كُلِّهِ.!!

•وَمَا أجْمَلَ مَكَارِمَ الْأخْلَاقِ وَفَضَائلَ الْأعْمَالِ.!!

•فَبِصِدْقِ الْحَالِ وَجَمَالِ الْمَقَالِ تُبْنَى الْأمَمُ وَتَسْتَقِرُّ الْمُجْتَمَعَاتُ وَيَنْعَمُ الْأفْرَادُ بِالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ فِي الْآخِرَةِ.

•فَاللَّهُمَّ انْصُرِ الْمُسْتَضْعَفِينَ الْمُوَحِّدِينَ، فَرِّج كَرْبَهُمْ، وَقَوِّ شَوْكَتَهُمْ، وَاجْعَلْ ثَأرَهُمْ عَلَي مَنْ ظَلَمَهُم، وَأهْلِكْ عَدُوَّهُمْ، لاتَرْفَع لِعُدُوِّهِمْ رَايَةً، وَلَا تُحَقِّق لَهُمْ غَايَةً، وَاجْعَلْهُمْ عِبْرَةً وَآيَةً، وَانْشُرْ أمْنَكَ وَأمَانَكَ عَلَي الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأصْلِحْ وُلَاةَ أمُورِنَا وَوَفِّقْهُمْ للعَمَلِ بِمَا يُرْضِيكَ، وَاجْعَلْهُمْ رَحْمَةً عَلَي رَعَايَاهُمْ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَي عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَعَلَي آلِهِ وَصَحْبِهِ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ.

•كَتَبَهُ:

خَادِمُكُم وَمُحِبُّكُم فِي اللهِ أبُو أحْمَد سَيِّد عَبْدِ الْعَاطِي بن مُحَمَّدٍ الذَّهَبِيُّ غَفَرَ اللهُ لَهُ وَعَفَا عَنْهُ.



تمت الرسالة ولله الحمد

مع تحيات

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية والنشر الإلكتروني